مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية). مجلد 22(4). 2008

الثقافة السياسية لحركة حماس وأثرها على السلوك السياسي للحركة في الحكم

Impact of Hamas' Political Culture on Hamas' Governance Political Behavior

رائد نعيرات

Raid N'airat

قسم العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

بريد الكتروني: watannai@yahoo.com

تاريخ التسليم: (2007/10/31)، تاريخ القبول: (2008/5/14)

ملخص

جاءت دراسة هذا الموضوع الحساس من الحياة السياسية الفلسطينية من قبل الباحث، كنتاج لعدة دوافع يمكن بلورتها في كون دراسة حركة حماس بالرغم من دائرة عملها الفلسطينية إلا أنها تأخذ بعدا أوسع في اشتراكها بخيوط فكرية وأيديولوجية مع دائرة الحركات الإسلامية عموما، هذا أولا. وثانيا فإن التحولات التي تعيشها حركة حماس منذ بداية الألفية الثالثة في الأدوار والبئية العاملة فيها تعطي مزيدا من التحفز لدراستها. وأهمية هذه الدراسة بالتحديد تظهر في محاولتها اشتقاق السلوك السياسي التغييري لدى حماس في الحكم استنادا على المنظومة الفكرية والايدولوجية للحركة، ومقدار محاكاة المناهج المتبعة أثناء ممارسة الحكم للمخزون الثقافي والفكري للحركة. وعلاقة ذلك بما حققته حماس في الحكم من انجازات أو ما واجهته من إخفاقات من خلال موائمتها للجانب النظري والممارسة العملية. كما وتحاول الدراسة الوقوف على أهم المنعطفات التي واجهت حركة حماس أثناء قيادتها للسلطة الفلسطينية، ومقدار خدمة المنظومة الفكرية والايدولوجية للحركة في تعقيد أو تجاوز هذه المنعطفات. وعليه فإن الباحث يسعى للكشف عن النقاط سابقة الذكر من خلال استخدامه للمنهج الوصفي التحليلي في فحص فرضيته، التي مفادها: أنه بالرغم من اعتقاد البعض أن الثقافة السياسية لحركة حماس، شكلت عائقا أمام قدرة الحركة على إدارة علاقات الحكم إلا أن هذه الثقافة كانت هي الداعم الأساسي لتثبيت أركان حكم حماس. وهذا ما تطلب تقسيم الدراسة إلى محورين، الأول: الثقافة السياسية عند حركة حماس، مكوناتها، وتوجهاتها العامة، والثاني: سلوك حركة حماس السياسي أثناء ممارستها للحكم.

Abstract

The Impact of Hamas' political culture or education on Hamas' political behavior while in governance is worth studying for a couple of reasons: the movement is tied thoughtfully and ideologically with a wide spectrum of Islamic movements beyond Palestine; and, with the beginning of the third millennium, it found itself in a new political environment that imposed new roles. This study draws importance from its attempt to envisage changing political behavior based on Hamas' ideology and political thought, and to test the congruency between theory and actual practices. Governance achievements and failures are examined in accordance with the degree of such congruency. The question of Hamas serving its final ideological aims is also evaluated. The researcher is following the descriptive-analytical approach to test the hypothesis put forth: Hamas' political thought and ideology have been very helpful in bolstering Hamas governing capabilities. Accordingly, the study is divided into two parts: one deals with elements and trends of Hamas political culture, the other discusses Hamas political behavior while leading the Palestinian Authority.

مقدمة

تعد حركة حماس من أكثر الحركات في العالم التي وضعت تحت المجهر التحليلي من قبل الخبراء ومراكز الدراسات وتحت المجهر الأمني للخبراء العسكريين والأمنيين. وتعود أسطورة هذا التفحص الدقيق لعدة أسباب:

- اعتبار الحركة إحدى الأدوات الفاعلة لحركة الإخوان المسلمين المتفرعة عالميا، فمن الأهمية بمكان معرفة درجات التأثير والتأثر التي تحدثها كلتا الحركتين في بعضهما البعض، أو في المناخ السياسي الذي تعيش فيه هاتان الحركتان.
- طبيعة القضية الفلسطينية، والتصاعد المتعاظم لحركة حماس فيها منذ ظهورها عام 1987.
- طبيعة حركة حماس بوصفها حركة دينية وبرغماتية.

هذه الأسباب شكلت الدافع الأساسي لاعتبار حماس بيئة خصبة للدراسة والتفحص. إلا أن الانتخابات الفلسطينية استفزت المحللين ورجال السياسية للوقوف على طبيعة الحركة وفلسفتها ودراسة سلوكها السياسي، حيث تميزت –أي الحركة- بفوزها الساحق في الانتخابات التشريعية الفلسطينية في نظام سياسي يكاد يكون من أعقد الأنظمة السياسية في العالم (إذا أريد له أن يدرج

في سلم النظام بمعناه الدولاني)، فانتقلت الحركة من الجانب النظري الرومانسي والمعارض إلى الجانب العملي للحكم.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة في أنها تحاول اشتقاق السلوك السياسي التغييري لدى حماس في الحكم استنادا على المنظومة الفكرية والأيديولوجية للحركة، ومقدار محاكاة المناهج المتبعة في أثناء ممارسة الحكم للمخزون الثقافي والفكري للحركة. وعلاقة ذلك بما حققته حماس في الحكم من انجازات أو ما واجهته من إخفاقات من خلال مواءمتها للجانب النظري والممارسة العملية. كما وتحاول الدراسة الوقوف على أهم المنعطفات التي واجهت حركة حماس في أثناء قيادتها للسلطة الفلسطينية، ومقدار خدمة المنظومة الفكرية والايديولوجية للحركة في تعقيد أو تجاوز هذه المنعطفات.

فرضية الدراسة

على الرغم من اعتقاد بعض المحللين أن الثقافة السياسية لحركة حماس، شكلت عائقا أمام قدرة الحركة على إدارة علاقات الحكم، إلا أن هذه الثقافة – كما تفترض الدراسة- كانت هي الداعم الأساسي لتثبيت أركان حكم حماس في تجربتها الناشئة.

مشكلة الدراسة

تقوم مشكلة الدراسة على محاولة تفحص مقدار تأثر الممارسة السياسية العملية لحركة حماس بالثقافة السياسية للحركة، ونظريات الحركة في التغيير، حيث إنها تشكل أكثر الجدليات السائدة في الأوساط السياسية على صعيد مناصري حركة حماس، أو على صعيد من تشكل سياسات حماس اهتماما لديهم، وبالذات فيما يخص الأولويات أو القدرات على صناعة بيئة مناسبة تمكن حماس من قيادة مشروعي المقاومة والحكم في نفس الوقت، وبخاصة إذا اخذ بعين الاعتبار التجربة الأولى للحكم في ظل حركة حماس في الحكومة العاشرة وفي المجلس التشريعي وما اعتراها من إشكاليات سواء على صعيد المفاهيم النظرية للتطورات الحاصلة في السلوك السياسي للحركة، أو على صعيد التفسيرات للأولويات التي يجب على الحركة جدولتها لإتمام مشروعها التغييري بما يحقق تكاملية المشروع الفلسطيني ورتابته بشكل عام.

منهجية الدراسة

يحاول الباحث تدعيم الفرضية عبر منهج متعدد الاقترابات، مستخدما المنهج الوصفي التحليلي، والذي يقوم على دراسة الحالة وتحديد مميزاتها وخصائصها وجزئياتها للوصول الى الحقائق الدقيقة عن الظروف القائمة كما هي في الواقع المعاصر، كما وستتم الاستعانة بالمنهج السلوكي والذي من خلاله سيتم تفسير سلوك الحركة سواء بشكل جمعي أو فردي ومدى تأثر

ذلك بالثقافة السياسية للأفراد أو ما يمكن تسميته بالعقل الجمعي للحركة عبر مخزونها من مرتكزات ومحددات الثقافه السياسية. وسيعتمد البحث على البيئة السوسيولوجية للحركة وعلاقتها بالقوى الأخرى الاجتماعية والسياسية والنظام السياسي بشكل عام.

أقسام الدراسة

تدور الدراسة على محورين أساسيين:

الأول: الثقافة السياسية لدى حركة حماس: مكوناتها، وتوجهاتها العامة.

الثاني: السلوك السياسي لحركة حماس في الحكم.

الأدبيات السابقة

حركة حماس من الحركات التي لقيت اهتماما واسعا من قبل الدراسين والمحللين والمراقبين، وقد عولجت وفق اكثر من زاوية، وتمت تغطية الكثير من الجوانب فيما طرح من دراسات سابقة، أخذت حركة حماس بالتحليل، وفي هذه المراجعة السريعة للأدبيات السابقة يمكن استخلاص الآتي:

- دراسة حركة حماس وفق منظومة أوسع من الحركات، بمعنى دراسة الاطار الفكري والسياسي لحماس دون الاشارة لها بشكل منفصل عن امتداداتها الفكرية، وهذا الشكل من الدراسات بدأ بالظهور مع بداية الحديث حول الفكر والممارسة السياسية للحركات الاسلامية، انطلاقا من مفاهيم العصر المتمثلة بالديمقراطية واستحقاقاتها[1]. ومن الكتابات ما حاولت ايجاد صلة ما بين الحركات الاسلامية والديمقراطية، وايضاح حالة الوفاق بينهما، مثل نبيل شبيب الذي عبر عن حالة الوفاق بين الاسلاميين كفكر والديمقراطية كممارسة من خلال اتباعهم منهج تغيير منسجم مع الديمقراطية والتعددية السياسية [2].
- أما بخصوص الأدبيات التي أخذت في دراسة حركة حماس على وجه التحديد، وبشكل مفصل، دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) 1987-1996، وهو كتاب يضم بين جنباته دراسة تفصيلية لحركة حماس، من حيث الاهداف والأسس الفكرية وموقفها من مجمل متغيرات الحياة السياسية الفلسطينية[3].

---

(1) حماد، مجدي. وآخرون. **الحركات الإسلامية والديمقراطية، دراسات في الفكر والممارسة**. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. 1999.

(2) شبيب، نبيل: الإسلاميون والإصلاح السياسي. الجزيرة نت، http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9FDF0424-1DEF-45E2-8E93-EB09997472BB.htm

(3) أبو عيد، عبد الله. وآخرون: **دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس (1987-1996).** تحرير: جواد الحمد وإياد البرغوثي. ط1. الأردن: مركز دراسات الشرق الأوسط. 1997.

- دراسات اخرى تناولت جزئيا علاقة حماس مع جميع الأطراف وتصور حماس لمواضيع كالهوية والفكر السياسي، ومن ثم يضع الكاتب تصور لمستقبل حركة حماس[4]. فيما دراسات أخرى بدت وكانها ترسم صورة للسلوك السياسي لدى حماس وسماته، ومدى تأقلمه مع الواقع [(5)].

- هناك مجموعة أخرى تطرقت إلى الحركات الاسلامية عموما في فلسطين ومن ضمنها حركة حماس، ومن الامثلة على ذلك، دراستان لإياد البرغوثي، الأولى بعنوان: "الإسلام السياسي في فلسطين ما وراء السياسة"، والثانية بعنوان: "الأسلمة والسياسة في فلسطين المحتلة"، إضافة إلى دراسة تيسير جبارة: "دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة"[(6)].

- من الدراسات ما جاء فورا بعد فوز حماس في انتخابات السلطة التشريعية، حيث تعرض الباحثون الى اسباب انتصار حماس، الابعاد الايدولوجية للحركة ومفاهيمها للحكم وتاثير هذه المفاهيم على قدرة حماس على ادارة دفة الحكم وموقف الاراف الاخرى من حماس في ضوء هذه المفاهيم. وعلى الرغم من غنى المعلومات التي احتوتها بعض هذه الدراسات الا انها استندت على مسلمات يعتقد الباحث ان الدراسة كانت بحاجة لخوض اعمق بها [(7)].

- هناك دراسات ناقشت طبيعة الشخصيات المشكله للمجلس التشريعي الفلسطيني، وتناولت شخصيات حركة حماس ودراسة سلوكهم السياسي وموقفهم من القضايا السياسية العامة وبالذات الموقف من عملية السلام، والاعتراف باسرائيل. حيث حاولت وبصفة تجريدية

الكتاب يناقش: أهداف الحركة ووسائلها، من خلال رؤية نقدية. ب- منطلقات الحركة الفكرية، سواء في رؤية الحركة للصراع مع إسرائيل، أو في المسالة السياسية من حيث موقفها من الوطنية والتعددية السياسية. ج- موقف حماس من المفاوضات ومشاريع التسوية. د- علاقة حماس مع الأطراف المحلية والإقليمية والعالمية، ومن ثم موقف الحركة من القوانين والمواثيق الدولية المعاصرة.

انظر أيضا: الحروب، خالد: **حماس الفكر والممارسة السياسية**. ط1. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية. 1996.

(4) الكيلاني، موسى زيد: **الحركات الإسلامية في الأردن وفلسطين**. ط2. عمان: مؤسسة الرسالة. 1995.

(5) مشعال، شاؤول. وسيلع، أبراهام. **عصر حماس**. تل أبيب: إصدار يديعوت أحرونوت. 1999. ترجمة المركز الفلسطيني للإعلام. من الموقع الالكتروني:
http://www.palestine-info.info/arabic/books/aser_hamas/aser_hamas2.htm

(6) البرغوثي، إياد. **الإسلام السياسي في فلسطين ما وراء السياسة**. القدس: مركز الإعلام والاتصال. 2000 و**الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة**. ط2. القدس: مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان. 2003. وجبارة، تيسير: **دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة**. عمان: دار الفرقان. 1992.

(7) حماس المظفرة: hamas triumphant implications for secuirity, politics, economy, and strategy. والكتاب من منشورات معهد واشنطن للشرق الاوسط 2006. تحرير روبرت ساتلوف، واعداد مجموعة من الباحثين المتخصصين ديفيد ماكوفسكي، محمد ياغي، مايكل هرتزوغ، باتريك كلاوسون، بن شمان.

توضيح طبيعة السلوك السياسي للقادة السياسين عند حماس وقناعاتهم المسبقة تجاه بعض القضايا.

- دراسة خالد الحروب. Hamas a Beginner’s Guide 2008 والكتاب يعتبر من الدراسات العلمية الفريدة والتي ناقش خاد الحروب من خلالها حركة حماس كما هي سواء فكرا وممارسة وسلوكا وادوات عبر طرح الاسئلة والاجابة عليها، الا ان الكتاب طرح العديد من الاسئلة وانتهى السؤال بتساؤل وهذا يعود الى ان خالد الحروب لم يبحث في كنه الاسباب بمقدار توصيف الحالة المشكلة للظاهرة.

- إضافة للدراسات والكتب سابقة ذكر، فإن التطورات التي شهدتها حركة حماس دفعت بالكثيرين لتحليل مواقفها وسياساتها مبرامجها من خلال مقالات تحليلية متخصصة، نذكر منها: تجليات البرغماتية عند الاسلاميين، لخالد الحروب (8)، ومجموعة من الدراسات المنشورة في صحف عالمية ناقشت التطورات الجديدة التي عاشتها حماس بعد عام 2006، والاشكاليات المصاحبة لذلك ومدى جدية حماس في التحول الديمقراطي، أو السلوك السياسي بدلا الاسلوب التقليدي المسلح (9).

تمهيد

منذ اليوم الأول لانطلاق حركة حماس تم تبني اسم الحركة: حركة المقاومة الإسلامية حماس. ومن هنا استند اسم حماس على مدلولين وتأصيلين واضحين: الأول: أنها حركة مقاومة، والثاني أنها حركة إسلامية. بمعنى أنها تمايزت عن الحركات الفلسطينية المشكلة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في قضية أساسية ومهمة بعدم ربط اسمها بالتحرير، كما هي حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)، أو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطيني..الخ. من هنا يمكن اعتبار حماس على أنها مشروع اجتماعي – سياسي نهضوي أكثر منها برنامجا تحريريا.

ويتضح هذا من خلال تتبع مسيرة التكوين عند الحركة، وبناء أجسامها المختلفة في المجتمع الفلسطيني، فالحركة تركز على بناء الفرد المقاوم، والمؤسسة التي تتخذ من العقيدة

---

(8) الحروب، خالد. تجليات البرغماتية عند الإسلاميين. **إسلام أون لاين** 2007/3/22**.** نشرة فلسطين اليوم. بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، عدد 669، 2007/3/23.

(9) Kissinger, Henry A: What's Needed From Hamas Steps in the Peace Process Must Match Conditions on the Ground. **The Washington Post.** Monday, February 27, 2006.
- Gold, Dore: America's Hamas Dilemma: Spreading Democracy or Combating Terrorism?. **JERUSALEM ISSUE BRIEF**. Jerusalem Center for Public. Vol. 5, No. 8 . 1 November 2005. http://www.jcpa.org/brief/brief005-8.htm.
- Pipes, Daniel: Can Hamas and Hezbollah be Democratic?. **New York Sun**. March 22, 2005. http://www.freemuslims.org/news/article.php?article=526

والمنهج المقاوم دستورا لها، وتكاد تخلو شخصيات حماس أو مؤسساتها من الشخصيات المؤسسة على إدارة علاقات الحكم، أو من المؤسسات الموكل لها إدارة الدولة مستقبلا، كمراكز الدراسات والأبحاث، ومؤسسات العمل المدني ....الخ. بل إن الصورة التي تحاول حماس دائما أن تكرسها لشخصياتها هي صورة القائد المقاوم أكثر منها صورة القائد السياسي.

أما القضية الأخرى والأهم والتي ميزت حركة حماس فكانت اعتمادها كلمة الإسلامية في الاسم وهو كذلك ميز حماس عن باقي فصائل منظمة التحرير الفلسطينية، وفي عملية البحث عن تأصيل الفكر الإسلامي لدى حماس وضح ميثاق الحركة هذا المفهوم بأن "حركة حماس هي الجناح العسكري لحركة الإخوان المسلمين"(10) وهنا تكون حماس قد حصرت منهجها التفكيري تجاه الاستناد الإسلامي بمنهج حركة الإخوان المسلمين العالمية، المستند أصلا إلى ثلاث ركائز أساسية: الوسطية، الاعتدال، التدرج في التغيير.

دارت جدلية واسعة ومشروعة حول علاقة الحركة بجماعة الإخوان المسلمين وبخاصة بعد التطورات التي طرأت على حركة حماس بإنشاء المكتب السياسي، والمكتب الإعلامي، ومجلس شورى الحركة، علاوة على إنشاء جناحها العسكري الخاص بها الذي بات معروفا باسم (كتائب عز الدين القسام)، حيث أن هذه التقسيمات تدل على أن الحركة عبارة عن تنظيم كامل ومتكامل، وبالتالي تنفي اعتبار الحركة جناحا عسكريا فقط لحركة الإخوان المسلمين، ترافق ذلك مع التجنيد السياسي للحركة حيث أنه ومن الملاحظ أن الحركة لم تركز فقط على التجنيد العسكري بمقدار تركيزها على التجنيد الجماهيري أولا، وكذلك محاولة الحركة النفاذ إلى جميع القطاعات الجماهيرية، أقول: لقد باتت الحركة تعمل كحزب سياسي بكل ما تحمله الكلمة من معنى وتشارك وتنتشر في الأوساط الاجتماعية بمختلف قطاعاتها وتوجهاتها محاولة صناعة ظرف سياسي مغاير، ومتمايز وهذا ما أكده مؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين حين أشار بأن الحركة لا ترتبط عضويا بتنظيم الإخوان المسلمين وإنما كل قادة وأبناء الحركة تتلمذوا فكريا ومنهجيا على فكر الإخوان المسلمين. ومن هذه المنطلقات شكلت حركة حماس ثقافة سياسية ذاتية، وحاولت إسقاط مفردات هذه الثقافة وغرسها لتصبح جزءا من المكون الثقافي العام للثقافة السياسية الفلسطينية.

الثقافة السياسية ومرتكزاتها

يقصد بالثقافة السياسية مجموعة المعارف والآراء والاتجاهات السائدة نحو شؤون السياسة والحكم، والدولة والسلطة، والولاء والانتماء، والشرعية والمشاركة. وتعني أيضاً منظومة المعتقدات والرموز والقيم المحددة للكيفية التي يرى بها مجتمع معين الدور المناسب للحكومة، وضوابط هذا الدور، والعلاقة المناسبة بين الحاكم والمحكوم (11). ومعنى ذلك أن الثقافة السياسية

(10) ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس، المادة الأولى. نشرة تعريفية.
(11) هرميه، غي. وآخرون، معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، ترجمة: هيثم اللمع المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص 169-170.

تتمحور حول قيم واتجاهات وقناعات طويلة الأمد بخصوص الظواهر السياسية، وهي كالآتي[12]:

1. التوجهات نحو الذات.
2. التوجهات نحو الآخرين.
3. التوجهات نحو النسق السياسي.

لذا ستتم عملية قياس مستويات الثقافة السياسية عند حماس بناء على هذه المستويات الثلاث، ومقدار تاثر السلوك السياسي للحركة وقادتها بالحكم بهذه المستويات، واين وقفت هذه المحددات عائقا امام حماس في بلورة نموذج سياسي خاص بها في الحكم، وما هي المساحة السياسية التي اتاحتها هذه التوجهات لحماس لنسج علاقات الحكم بطريقة تتفاعل من خلالها مخزونات الثقافة السياسية عند حماس ببعديها الديني والسياسي لخدمة المشروع العام للحركة والمتمثل في النجاح بالحكم عبر الجمع بين المقاومة والبناء. كهدف اساسي وضعته حماس ليكون نموذجا لها في الحكم.

التوجهات نحو الذات

تعتبر التوجهات نحو الذات من أكثر القضايا التي تعاني منها الحركات الأيدولوجية سواء في تفاعلاتها السياسية، أو عند لحظة الانتقال إلى سدة الحكم، والتي من خلالها تثبت الحركة أو الحزب القدرة على نسج علاقات الحكم وبناء منظومة تؤهلها للقيام بالتفاعلات الايجابية السلبية، لذا سيتم تناول هذه التوجهات من زاويتين عند حماس وهما:

1. القيادة الشابة.
2. التأصيل الفكري والشرعي.

بنت حركة حماس لنفسها منظومة فكرية محددة، وصنعت هوية ذاتية متمايزة كليا عن الآخرين، ولقد تجلت هذه المنظومة في عنصرين أساسيين أثرا في السلوك السياسي للحركة وفي رسم السياسية العامة: الأول القيادة الشابة، والثاني التأصيل الفكري والشرعي للممارسة السياسية.

---

(12) موسوعة الشباب السياسية، الثقافة السياسية وأثرها على المشاركة
www.ndp.org.eg/downloads/politics/2.doc

العنصر الأول: القيادة الشابة

امتازت حماس عن بقية الفصائل الفلسطينية بأنها حركة شبابية القيادة والقاعدة، وقد ساعد هذا العنصر حماس على سرعة الانطلاق والاندفاع نحو التجنيد السياسي، وسرعة الانتشار في وسط اجتماعي يتطلب ديناميكية عالية من التفاعل، ومنحها كذلك القدرة على مقاومة الاستئصال أمام ما تعرضت له الحركة من حملات اعتقال وملاحقة ومحاولات تصفية، إلا أن هذا ترك بصمة معينه على تفكير الحركة، فكانت أهم تجلياته في طغيان الفكر الرومانسي للحركة على واقعيتها[13]، واعتماد الشعارات الفضفاضة والتسليم بحتمية الشعارات على أنها قواعد ناظمة للعمل السياسي، وهذا العنصر له دلالاته الواضحة أثناء عمليات التجنيد السياسي للحركة، بحيث يمكن وصفها أنها حملة انتخابية مستمرة، سواء على مستوى الجامعات أو مختلف المواقع الأخرى.

العنصر الثاني: التأصيل الفكري والشرعي

أما القضية الأخرى المهمة فتكمن في ذاتية التأصيل الفكري للحركة، حيث لوحظ الإخفاق الملموس لهذا العنصر فالأدبيات الفكرية الاستنادية للحركة تكاد تكون غير ذاتية، وهي تعتمد بشكل أو بآخر إما على اجتهادات خارجية، نابعة من امتداد الحركة[14]، أو على اجتهادات سياسية ودينية تتم عملية تطويعها لتلائم الحاضر بطريقة بطيئة[15]. وتواجه حماس في هذا المضمار ثلاث إشكاليات رئيسية: الأولى: أنها حركة دينية ومن المؤكد أن التغيير داخل الحركات الدينية أبطأ منه داخل الحركات الأخرى، والثانية: أنها حركة تعيش في وسط محافظ مما يشكل رفضا مبدئيا للجديد والثالثة: الثقافة السياسية الموروثة التي تشكل تخوفا استباقيا لكل فعل حيث أن الثقافة السياسية الفلسطينية أصبحت تخيف حماس من ردات فعل الشارع الفلسطيني في أي اتجاه تتجه نحوه الحركة حيث أن اغلب سياسات وحتى مسلكيات حركة حماس تقاس في نظر الشارع الفلسطيني بمنهاج المقارنة مع ما فعلته حركة فتح، بل انه من الملاحظ إن حماس كذلك تتخوف من دخولها هذا النفق، خاصة في ظل وجود توجهات لدى الآخرين من أجل محاولة تطويع أو تدجين حماس[16].

---

(13) صالح القلاب، حيرة حماس بين رومانسية الثورة ومغريات الدولة، الشرق الأوسط، 2006/4/13.

(14) الحفيني، عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية**. ط2. القاهرة: مكتبة مدبولي. 1999. ص 34-50.

(15) حول أهداف حماس، انظر: أبو عيد، عبد الله وآخرون: **دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس (1987-1996)**. مصدر سبق ذكره. وانظر أيضا: الحروب، خالد: **حماس الفكر والممارسة السياسية**. مصدر سبق ذكره.

(16) كيسينجر، هنري: *إسرائيل وحماس: ملامح خطة السلام القادم*. **صحيفة الشرق الأوسط**. لندن. 2006/3/2، عدد 9956.

وهذه القضية بالذات تعيق من قدرة حماس على المناورة السياسية، وتجعلها أكثر جمودا وفي الوقت الذي يضاعف الدين والايدولوجيا أحيانا من جمودها يأتي هذا العنصر ليضيف إلى حماس محوراً آخر من محاور الجمود، وتبدو هذه الصورة عند مناقشة أي قضية مارستها فتح رغم اعتراف الحركة بأن هناك بعض القضايا التي تم الاعتراض بها على ما قامت به فتح من زاوية المناكفة الحزبية إلا أن الحركة ما زالت رهينة لهذه التصورات والتوجهات ولقد برزت هذه القضية بشكل كبير عند مناقشة قضية ميثاق حركة حماس حيث أنه لا يوجد عاقل لا يدرك أن الميثاق لا يتلاءم وطبيعة حركة سياسية كحركة حماس اليوم إلا أن البلبلة التي أحدثتها تصريحات الدكتور محمد غزال حول الميثاق وإمكانية تعديله وردود الفعل من قادة حماس لاحقا يشير إلى المقارنة التي خشيت منها حماس، متذكرة الضجة حول تعديل ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية.

هذه القضية ليست الإشكالية الوحيدة ولكن بالفعل هناك مزاج عام شعبي ضاغط على حماس في محاولة إيجاد تقارب بين ما تفعله حماس بما فعلته فتح وهذا يشكل أحد أبرز العوائق أمام حماس على صعيد منحها هامشاً أكبر من المناورة السياسية.

ومما يضاعف من تأثير هذه القضية ما ذكر سابقا حول قيادة الشباب فإن أغلب أدبيات الحركة تركز على ديناميكيات العمل السياسي اليومي ومجاراة الأحداث السياسية، أما التأصيلات الحضارية والفكرية للحركة فتأتي من المفكرين الذين يعيشون خارج فلسطين، على الرغم من أن الحالة السياسية للحركة تتقدم على التجارب السياسية الأخرى التي تعيشها باقي الحركات الإسلامية العالمية.

ويضاف إلى الإشكالية السابقة إشكالية أخرى علاوة على ذلك هناك إشكالية أخرى في أن حركة حماس ومنذ نشأتها تعايش أزمة خانقة، تتمثل في أن السجون هي العرين الأساسي الذي تتربى فيه قيادات الحركة، وتتلاقح فيه أفكارها، بل إن معرفة عناصر الحركة لبعضهم بعضا تتم داخل السجون. وبذا تشكل السجون البيئة التربوية لمن هم داخل السجون وخارجها.

التوجهات نحو الآخرين

عند محاولة الوقوف على طبيعة العلاقة التي حكمت حركة حماس بالأطياف السياسية الفاعلة على الساحة الفلسطينية نجد أن حركة حماس عايشت إشكاليه في فهم الآخر الفلسطيني وفهم الآخر الفلسطيني لها من ناحية التصنيف، فحماس حركة دينية برغماتية، وهنا يصعب الفصل بين الديني والبرغماتي في الحياة السياسية لحماس[17]، فنجدها في العمل السياسي تغلب الطابع البرغماتي على العنصر الديني، أما في عمليات التجنيد السياسي فنجد أن الحركة تركز

(17) خالد الحروب، تجليات البرغماتية عند الإسلاميين الوسطيين.مصدر سبق ذكره.

بشكل كبير على البعد الديني. وهذا نابع من الميزة الأساسية التي ميزت حماس وهي ما يسمى التزامن "وليس التعاقب"[18].

إن جدلية الديني والسياسي في الفكر والممارسة، تشكل إرباكا كبيرا لمن يريد أن يقرأ حماس أولا ولأبناء حماس ثانيا خاصة أن حماس تطرح نموذجا مغايرا لكل نماذج الحركات الإسلامية هذا النموذج يتمثل في إطار ثلاثي الأضلاع: الأول أسلمة المجتمع، والثانية التحرير، والثالثة بناء الدولة، وكل هذه القضايا يجب أن تأتي في حالة تزامنية لا تعاقبية.

ولذا عاشت حماس مع ذاتها في مواءمة متى تكون الحركة دينية ومتى تكون سياسية، وبخاصة أنها تعيش واقعا وقضية أغلب مفرداتها دينية. إن التحليل العميق يقود إلى أن حركة حماس حركة برغماتية والغلبة بها للجانب البرغماتي على الجانب الديني على الرغم من الطابع الديني للحركة داخلها، فهي تتبنى المفاهيم الغربية في خطابها السياسي، وتحديد أولوياتها الوطنية وعملها التنظيمي والإداري وممارستها السياسية. فحماس كما يراها خالد الحروب حركة برغماتية، وتغلب الطابع السياسي وهي "حركة عصرية تدير شؤونها الداخلية بديمقراطية، و"تختار قادتها بطريقة ديمقراطية... ولا يوجد نظام تسلطي داخلها" وهي متصالحة مع المفاهيم المعاصرة كحقوق الإنسان والمواطنة وسيادة القانون وحكم الأغلبية والمساءلة[19] ولكن هذه القضية بحاجة إلى تحليل عميق حيث أن برغماتية وسياسية حماس تتغلب على دينيتها لدى القيادات أما القواعد والقيادات الوسطى فان لديها إشكالية في تغليب الطابع الديني وهذا يلاحظ في حالة الأزمات فحتى القيادات السياسية العليا يصبح خطابها موجه دينا ليسر استقباله من القواعد.

لذا نجد أن هناك شرخا بين توجهات القيادة والقواعد حيال الشركاء السياسيين أو حتى نحو الفعل السياسي العام، فمثلا موقف حماس من اتفاق أوسلو تم الترويج له في القواعد بصورة دينية وليس بصورة المصلحة السياسية، كما كان الموقف السياسي لحركة حماس، ولهذا واجهت حماس عند اتخاذها قرار المشاركة في الانتخابات عام 2006 إشكالية كبرى لإقناع أبنائها وأنصارها بقرارها. حتى أنه وإلى الآن تصر بعض القيادات في حماس أن الحركة خاضت الانتخابات وهي رافضه لاتفاق أوسلو، وما يمليه من التزامات وعلى الرغم من أن هذا الموقف بعموميته سليم إلا أن الصورة المرسومة في أذهان أبناء الحركة وبعض قياداتها تبنى على الإطلاق والرفض التام.

شكلت هذه الصورة تشوهات في طبيعة العلاقة بين أبناء حماس والموقف من الفاعلين السياسيين على الساحة الفلسطينية، وإن كان هناك تمايز له ظروفه ومعطياته، فالعلاقة مع حركة فتح اختلفت عنها مع قوى اليسار الفلسطيني. فقد تميزت العلاقة مع فتح منذ اليوم الأول بالتنافسية[20]، ووصلت لدرجة العلاقة الدموية وذلك للأسباب التالية:

(18) Hroob Khaled.HAMAS abiggener s Guide. p28

(19) Hroub, Khaled. HAMAS a beginner s Guide.pluto press, London, 2007.p 64.

(20) فتح: ليست بديلاً حقيقياً لحماس، مركز دراسات رويت انستتيوت الإسرائيلي 2006/8/22.

1. رفض فتح منذ اليوم الأول قبول حماس كفاعل على الساحة الفلسطينية، وبالمقابل شعور حماس بأن الند الأساسي لها على الساحة هي حركة فتح.
2. تبني فتح مشروع العملية السلمية وتباين ذلك مع موقف حماس.
3. موقف حماس من منظمة التحرير الفلسطيني، فقد رفضت حماس منذ اليوم الأول الانضواء تحت سقف المنظمة، في الوقت الذي كانت فتح برئاسة ياسر عرفات تتزعم قيادة المنظمة[21].
4. الموقف من ياسر عرفات الذي شكلت كاريزميته سدا منيعا أمام حماس منذ نشأتها ولغاية وفاته.

أما على صعيد العلاقة مع الفصائل الأخرى فإنها كذلك على درجة من الشائكية إلا أنها لم تصل إلى حد الصدام، رغم ما شكلته من إشكالات داخلية تخص نظرة الفصائل للبرنامج الاجتماعي لحماس، أو نظرة أبناء حماس للموقف الديني من الفصائل الأخرى وإن بقيت هذه العلاقة على درجة من التقبل المنطقي وذلك للأسباب التالية:

1. موقف حماس والفصائل من اتفاق أوسلو، حيث استطاعت حماس مع باقي الفصائل أن تشكل موقفا منيعا ضد اتفاق أوسلو.
2. عدم شعور حركة حماس بأن الفصائل الفلسطينية تشكل ندا لها خاصة منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي نتيجة لخفوت نجم اليسار والفصائل الفلسطينية الأخرى.

وهذا الموقف كذلك ينطبق على باقي الفصائل الإسلامية الفلسطينية، كالجهاد الإسلامي وحزب التحرير، حيث تحاول حماس عدم إثارة التمايزات الدينية في تعاملها مع هذه الفصائل وتركز على تمايزها السياسي والقدرة على التوغل في الأوساط الجماهيرية وتحقيق الانجازات[22].

التوجهات نحو النسق السياسي العام

شكل النظام السياسي الفلسطيني رافدا أساسيا للفكر السياسي لدى حركة حماس، بجزئية منظمة التحرير الفلسطينية، والسلطة الوطنية الفلسطينية، ولم تختلف توجهات الحركة تجاه مكونات النظام السياسي فيما يخص النظرة الإستراتيجية. فحماس رفضت الأسس التي قامت عليها (م.ت.ف) والمنهجية التي تعمل بها، حتى قبل أن تخرج حماس للنور، فالتيار الإسلامي

(21) محمود الزهار، مداخلة خلال ورشة عمل بعنوان: نحو مشروع فلسطيني-عربي لإعادة بناء وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2005/6/29.

(22) دراسة إحصائية وسياسية في نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية 25 كانون الثاني/ يناير 2006، مركز دراسات الشرق الأوسط. http://www.mesc.com.jo/IndexAr-07.html

الذي كانت حماس أحد ثمراته كان مخالفا لمنظمة التحرير[23]، وكذلك فيما يخص السلطة الوطنية الفلسطينية فحماس ترفض الأسس التي قامت عليها السلطة من اتفاق أوسلو، ورفضت كليا المنهجية والسلوك السياسي للسلطة الفلسطينية، هذا البناء الفكري للحركة اثر بشكل ملموس على طبيعة العلاقة بين حماس والنظام السياسي الفلسطيني، كما أثر بشكل أكثر حدية في طبيعة تعامل النظام السياسي مع حماس حيث أتت هذه العلاقة في ثلاث صور رئيسة:

الصورة الأولى: الحوار بين حماس والسلطة الفلسطينية ،ومحاولة إشراك حماس في القرار السياسي الفلسطيني .ولقد بدأت هذه الحالة منذ عام 1992 ببدء الحوارات حول انضمام حماس للمنظمة التحرير الفلسطينية إلا أن هناك معضلتين حالتا دون ذلك:

الأولى: وتتمثل في طبيعة حركة حماس، حيث كانت الحركة حركة جديدة على العمل السياسي، وما زالت تتعامل برومانسية التعامل السياسي أكثر من واقعيته، وكان هذا ملاحظ في ميثاق حماس وتصوراتها لـ (م.ت.ف).

الثانية :قيادة المنظمة أي ياسر عرفات التي كانت تصر على أن تمنح حماس دورا هامشيا كما منحت باقي الفصائل وتبقى قرارات المنظمة بيد حركة فتح تحت قاعدة "الإشراك السياسي" بدل الشراكة السياسية.

هاتان القضيتان جعلتا حركة حماس تطالب ب حصولها على نسبة 40% من مقاعد المجلس الوطني، وإعادة صياغة البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية مما حال دون دخول حركة حماس إلى المنظمة[24].

الصورة الثانية: حالة التصادم بين السلطة وحماس والتي تمثلت بالاعتقالات في صفوف أبناء حماس. على الرغم من عدم إعلان حماس نيتها تقويض السلطة الفلسطينية، إلا أن حماس تعاملت مع السلطة من داخل ذاتها، بمعنى أن حماس تابعت ممارسة نشاطها السياسي وبالذات عمليات المقاومة، وكأنه لا توجد سلطة. وبالمقابل قامت السلطة بالتعامل مع حماس من منطلق أنها دولة وذات سيادة وطالبتها بوحدانية القرار السياسي، على هذه الأرضية تشكل الفصام التام بين حركة حماس والسلطة الفلسطينية.

الصورة الثالثة: الشراكة الجزئية حين بدأت عملية التقارب بين حركة حماس والسلطة الفلسطينية مع انطلاق الانتفاضة الثانية "انتفاضة الأقصى" وبعيدا عن الأسباب غير أن هناك عاملا مهما وهو الوحدة في الميدان فقد عملت هذه الوحدة الميدانية على تقليل الأبعاد السياسية، وبلغت ذروتها مع اجتياح الضفة الغربية وحصار ياسر عرفات في المقاطعة، إلا أن عام 2003

(23) Abu-amr, ziad: **Islamic fundamentalism in the west bank and gaza**. u.s: Indiana university press. 1994. page 50-51

(24) أسامة حمدان، إعادة بناء وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية: رؤية حركة حماس، ورقة عمل مقدمة لحلقة نقاش: منظمة التحرير الفلسطينية: تقييم التجربة وإعادة البناء، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 31-30أيار / مايو 2006.

شكل النقطة الحاسمة في تاريخ علاقة حماس بالسلطة الفلسطينية باستحداث منصب رئاسة الوزراء، وتولي أبو مازن محمود عباس رئاسة الوزراء حيث تم تقديم أول مشروع سياسي تصالحي بين حماس والسلطة "الهدنة من طرف واحد"[25]. وعند النظر إلى الأسباب الدافعة نحو هذه الخطوة يمكن إيجاز التالي:

1. تآكل شرعية السلطة الفلسطينية ومحاولة حماس الاستفادة من الضعف الذي عانته السلطة آنذاك، مؤكدة أن عهد أوسلو قد ولى، وهذا ما أكدته بعض الأطراف الإسرائيلية أيضا[26].
2. تقاسم السلطة أزال الكثير من العقبات أمام حماس والتي تمثلت في عقلية الشخص الواحد في الحكم بقيادة ياسر عرفات.
3. الثمن الباهظ للمقاومة خاصة باستهداف إسرائيل للعديد من قيادات الحركة في الضفة والقطاع.
4. محاولة حماس قطف ثمار مقاومتها بطرحها مشروعا سياسيا، أو كما عبر عنه آنذاك الشيخ أحمد ياسين شركاء في الدم شركاء في القرار.
5. وجود أسس مبدئية من الممكن أن تستوعب خطوة سياسية كهذه، وهي فكرة الحل المؤجل والمعجل لدى حركة حماس[27].

وعند النظر إلى أهم الأعمدة التي ارتكزت عليها الثقافة السياسية لحركة حماس قبيل ممارستها للحكم يمكن ملاحظة التالي:

1. لم ترتكز هذه الثقافة على رؤية سياسية واضحة، وإنما جاءت نتيجة لتطورات ميدانية فرضها الواقع السياسي، وتغيرات البيئة السياسية للنظام السياسي الفلسطيني.
2. إن الممارسة السياسية والمقاومة في الميدان، لم تصنع ثقافة شراكة بين حماس والفصائل بمقدار ما كانت عبارة عن مراحل من التعايش بصور مختلفة. أثر ذلك بشكل كبير على علاقة الأطراف بعضهم ببعض أثناء الحكم.
3. لم تأصل حماس طبيعة الدور الذي ستلعبه في الحكم وقيادة القضية الفلسطينية فكرياً وشرعياً.

السلوك السياسي لحماس في الحكم

السلوك السياسي يعني اي انخراط في العملية السياسية سواء بشكل فردي أو جماعي، أو أي نشاط له تبعات سياسية فيما يخص العلاقة سواء بالحكومة أو الدولة. كما يقوم المفهوم على

---

(25) نص إعلان مبادرة الهدنة 2003/6/29. **صحيفة الأيام**. فلسطين. 2003/6/30.

(26) Robin, Barry: *Israel's New Strategy*. **Foreign Affairs**. July/August 2006.

(27) الكيلاني، موسى زيد: مصدر سبق ذكره. ص 201-202.

دراسة المحددات سواء المحسوسة أو غير المحسوسة في توجيه سلوك الأفراد السياسي تجاه القيام بفعل سياسي معين او الامتناع عن القيام به[28]. ودراسة السلوك السياسي تتطلب من الباحث تناوله من زاويتين: الأولى وهي العوامل الذاتية، كالأيدولوجيا والتصورات الخاصة، والعوامل الموضوعية كالبيئة الخارجية بكل مكوناتها[29].

بناء على هذا التعريف سيتم تناول السلوك السياسي لحركة حماس ضمن، هذه المفاهيم ببعديها: الاول فيما يخص حركة حماس ذاتها، والثاني العوامل الخارجية (البيئة الخارجية التي عملت بها حماس) سواء النظام الفلسطيني، او منظومة العلاقات الدولية والاقليمية وبالذات العلاقة مع الاحتلال.

دخلت حركة حماس إلى الحكم ضمن تسارع في البيئة الداخلية والخارجية للنظام السياسي الفلسطيني، لم تؤهلها لصياغة رؤية سياسية كاملة حول طبيعة الحكم وطبيعة الممارسة السياسية، ويمكن تقسيم هذه التغيرات إلى ثلاثة محاور: الأول فيما يخص حركة حماس، الثاني فيما يتعلق بالتغيرات في النظام الفلسطيني، والثالث فيما يتعلق بالبعد الدولي والإسرائيلي. أما فيما يتعلق بحركة حماس فقد أدى استشهاد القادة المؤسسيين للحركة وشخصياتهم الكاريزمية أمثال الشيخ احمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي إلى إحداث خللين في التوجهات السياسية للحركة خلل في نمو فكرة الدولة في حدود الرابع من حزيران حيث بقيت كما طرحها الشيخ أحمد ياسين عبارة عن رؤية سياسية ولم تتحول إلى برنامج سياسي للحركة، وأقصى ما قدمته الحركة على هذا التصور هو ما صرح به رئيس المكتب السياسي للحركة السيد خالد مشعل من أن إسرائيل حقيقة واقعية[30]. إلا أن هذا الموضوع لم يتم بلورته بشكل عملي وفي الحقيقة فان عدم حدوث تطور في موقف حركة حماس مرده إلى العوامل الخارجية وبالذات الأطراف الدولية وإسرائيل والتي لم تتقبل أي موقف من حركة حماس سوى الاعتراف بالشروط التي وضعتها الرباعية مسبقا قبل الحديث عن أي شيء آخر[31].وهذا من أهم المثالب الذي تعرضت له حركة حماس أثناء قيادتها دفة الحكم في السلطة الفلسطينية، إذ بدا واضحاً أن إستراتيجية الحركة في الحكم لم تتبلور بعد، وإن كل ما هو موجود هي عبارة عن سياسات يتم رسمها وفقا لمعطيات وظروف معينة.

أما الخلل الثاني فهو إعادة البوصلة إلى نفس المقاومة العالي، وظهور فكرة التوجه السلمي على أنها متاجرة بدم القادة المؤسسيين. غير أن الديناميكية التي سارت بها عجلة الحياة السياسية

---

(28) هرميه، غي. وآخرون، معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، ترجمة: هيثم اللمع المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2005، ص239-240.

(29) A Dictionary of Sociology 1998, originally published by Oxford University Press 1998

(30) صحيفة الشرق الاوسط، لندن، 2007/1/11، عدد **10271**،

http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=1&issue=10271&article=401073

(31) Editorial: *A Palestinian Pact*. **The Washington Post**. Saturday, February 10, 2007.

الفلسطينية في جميع مستوياتها منحت حركة حماس مقداراً من الاستقواء على خوض التجربة، وفيما يخص النظام الفلسطيني فكانت وفاة الرئيس ياسر عرفات، وتسلم أبي مازن قيادة السلطة وتبنيه لموضوعة المؤسساتية دافعا لحماس لأن تدخل المعترك السياسي[32].

أما القضية الأخرى التي تخص النظام السياسي، فهي توقيع اتفاق القاهرة الذي منح حماس ولو نظريا أساسا للتناسق مع ذاتها حيث نص اتفاق القاهرة على إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية وأجراء انتخابات في السلطة الفلسطينية، وتوسيع عدد مقاعد المجلس التشريعي، وتبني النظام المختلط[33]. كل هذه القضايا منحت حماس فرصة لإسقاط ذاتها وفلسفتها على النظام السياسي على اعتبار أن هذه المدخلات تستجيب لمتطلباتها ونظرتها في آلية الحكم والتي أن حدثت من شانها أن تغيّر في منهجية النظام السياسي الفلسطيني وسلوكه العام.

أما المحور الثالث والمهم والمتمثل في البعد الدولي والإسرائيلي فقد بينت خلفية هذا البعد على أساسين الأول: اعتبار دخول حماس إلى الحكم سيزيد من برغماتيتها، والثاني تعامل مع دخول حماس من اجل توريطها كونها حركة لا تمتلك برنامجا سياسيا، وإنما تمتلك أيدولوجيا، فبدخولها إلى الحكم ستتضح نقاط ضعفها، وسيضعف ثقلها[34]. على هذه الخلفية لم يتم الضغط على حماس عشية دخولها إلى الانتخابات وقرارها المشاركة في النظام السياسي الفلسطيني وبناء على ذلك اتخذت الحركة قرارها المشاركة في الانتخابات التشريعية في عام 2006 م[35]. وعند محاولة الوقوف على قرار المشاركة يمكن ملامسة أن حماس دخلت الانتخابات التشريعية الفلسطينية بنوع من التطور في ذهنيتها وسلوكها السياسي، وإن بقي هذا التطور رهين الأيدولوجيا الفكرية وقد ارتكزت الدعاية الانتخابية لحماس على ما يلي[36]

1. دخول حماس إلى الانتخابات ليس تحت سقف أوسلو، وأن أوسلو قد انتهى.
2. المزاوجة بين المقاومة والبناء، يد تبني ويد تقاوم.
3. رفضت حماس الإعلان أنها ستشارك في الحكومة.
4. جاء البرنامج الانتخابي بشكل غير واضح حول طبيعة البرنامج السياسي الذي ستتبعه الحركة في حال فوزها.
5. أما النقطة الأهم فتمثلت في احتواء قوائمها سواء الدوائر أو القائمة على نخبة القيادة التنظيمية للحركة فقد ألقت حماس بكل ثقلها في العملية الانتخابية، ويرى الباحث أن هذا يعود لعدة أسباب:

(32) محمد غزال ، مداخلة خلال ندوة: إعلان القاهرة الفلسطيني نحو تأسيس نظام سياسي جديد، مجلة دراسات شرق أوسطية ع 31، ربيع 2005، ص ص20-21.
(33) لمزيد من الاطلاع، انظر: نص اتفاق القاهرة، صحيفة الحياة الجديدة، 2005/3/18
(34) سليم الحص، حماس في مأزق اللاخيارات، http://www.mokarabat.com/s1209.htm
(35) إعلان محمد غزال حول نية حماس الدخول في الانتخابات التشريعية، bbc 2005/3/12.
(36) أحمد السمان، خطاب حماس الإعلامي.. مشروط ذاتيا وموضوعيا، إسلام أون لاين، **2007/3/8.**

- الأول: هذه هي التجربة الأولى للحركة في انتخابات تشريعية، بخاصة أن الاستطلاعات كانت تشير إلى أن نسبة حماس ستكون متواضعة.
- الثاني: أن حماس كانت تنظر أنها ستكون في المجلس التشريعي فقط، فهي تريد أن تشكل ممانعة للقرار السياسي وحماية لمشروع المقاومة، لذا فهي بحاجة إلى قيادات لديها القدرة على الممانعة أكثر من قيادات لديها القدرة على الحكم.
- الثالث: أرادت حماس من الانتخابات التشريعية الفلسطينية أن تكون مقياسا لقدرتها عالميا وفلسطينيا.

وأيا كانت الأسباب إلا أن نتائج الانتخابات وحصول حركة حماس على ما نسبته 78 مقعداً (74 مقعد حماس، 4 أشخاص دعمتهم الحركة كمستقلين في قوائمها) من أصل 132 مقعداً من مقاعد التشريعي أدى إلى إرباك الحركة في مشروع الحكم[37]، حيث أنه وعلاوة على الأسباب سالفة الذكر فيما يخص عدم جاهزية نظرية الحكم عند حماس وتسارع الأحداث لتستطيع حماس أن تقدم نفسها ولللآخرين مشروعاً سياسياً جديداً منطلقاً من ثقافتها السياسية، ومن الواقع السياسي المحيط بكل مستجداته أتت نتائج الانتخابات لتسرع من عملية إدخال حماس إلى الحكم دون منحها فرصة التقاط الأنفاس، أضف إلى ذلك أن وجود قياداتها في العمل الرسمي السياسي حدّ من قدرتها على المناورة، لذا واجهت حماس منذ اليوم الأول إشكالية تشكيل أول حكومة فلسطينية ستضطر من خلالها الإجابة عن الأسئلة الكبيرة كموقفها من منظمة التحرير الفلسطينية، وهي إشكالية حاولت حماس تجاوزها قبيل الانتخابات عبر دعوات إصلاحها[38]، وطبيعة العلاقة مع إسرائيل "الموقف من العملية السلمية". إن عدم جاهزية حماس للإجابة على المحورين الرئيسيين في العمل السياسي للسلطة الفلسطينية، آخذين بالحسبان مواقف الدول الغربية المتشنجة تجاه حماس جعل حماس تتبع سلوكا سياسيا لا يتناقض مع ثقافتها السياسية أولا، وينسجم مع تصوراتها التغييرية ثانيا، هذا السلوك تمثل في محاولة إحداث تغيرات إستراتيجية في الفلسفة السياسية التي يرتكز عليها النظام السياسي الفلسطيني بشقيه منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، وعدم وضع رأسمال سياسي كبير في عملية البناء داخل السلطة الفلسطينية. وجاءت إستراتيجية حماس في التغيير، وكأنها تغيير في العقد الاجتماعي الذي بني النظام السياسي الفلسطيني على أساسه. ويرتكز البرنامج السياسي لحماس في الحكومة على ما يلي[39]:

---

(37) مركز دراسات الشرق الأوسط، دراسة إحصائية حول الانتخابات الفلسطينية، مصدر سبق ذكره.

(38) الزهار، محمود: *مداخلة خلال ورشة*: **نحو مشروع فلسطيني-عربي لإعادة بناء وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية**، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2005/6/29.

(39) رائد نعيرات، قراءة في البيان الوزاري لحكومة إسماعيل هنية، المركز الفلسطيني للديمقراطية والدراسات، http://paldsr.com/y1.htm

1. إصلاح منظمة التحرير الفلسطينية، ومن ثم اعتبارها مرجعية السلطة وتحملها للمسؤولية السياسية، واعتبار أن الحياة السياسية الفلسطينية هي من اختصاصات الأحزاب الفلسطينية وليس من اختصاصات الحكومة.
2. رفض الاتفاقيات السابقة التي بموجبها قامت السلطة الفلسطينية.
3. محاولة تغيير الدور العربي وتحويله إلى موقع الشراكة بدل الوسيط كما كان سائدا في حقبة أوسلو.

على هذه الخلفية لم تكترث حماس بعملية البناء الداخلي للسلطة الفلسطينية، لأن البناء سيتطلب منها الالتزام بتقديم برنامج سياسي يتفق وطبيعة الأطراف الفاعلة في الساحة الفلسطينية سواء الداخلية أو الخارجية، بل إن حماس ضحت بعملية البناء الداخلي من أجل إحداث تغيرات إستراتيجية على النظام السياسي، فقد المجلس التشريعي سلطته بالكامل في ظل وجود حكومة بقيادة حماس حيث تم اعتقال أغلب أعضائه في الضفة الغربية ممن هم ضمن قائمة التغيير والإصلاح، وعاشت الحكومة أغلب فتراتها مشلولة نتيجة لاعتقال الوزراء. أما الوضع الأمني فلم يطرأ علية أي تحسينات بل العكس فقد دخلت الحياة السياسية الفلسطينية في مرحلة الاقتتال الداخلي، علاوة على الوضع الاقتصادي الذي تدهور في ظل انقطاع الرواتب وعدم دعم الحكومة. إلا أن الحكومة استطاعت أن تسلك سلوكا سياسيا مغايرا لما عهد في السابق، سواء في موضوعة الشفافية[40]، أو في علاقة الوزراء وأعضاء الحكومة بالشعب، فتوافق بذلك السلوك السياسي للحكومة مع الحركة، فلم تقم الحكومة بنبذ أعمال المقاومة.

ركزت الحركة على اعتبار أن الشعب الفلسطيني يمر في مرحلة إعادة البناء، ومطلوب من القوى السياسية الفلسطينية أن تصوّب برامجها اتجاه إعادة بناء النظام السياسي الفلسطيني، واستندت حماس بشكل كبير على تصورين: الأول أن إسرائيل غير مستعدة لتوقيع اتفاقية سلام مع الفلسطينيين، وبالذات بعد فوز الحركة في الانتخابات. الثاني:عدم جاهزية الدول الغربية للضغط على إسرائيل من اجل تقديم استحقاقات العملية السلمية، وبناء على هذين التصورين قدمت حماس في اتفاق مكة ما لم يكن أحد يتوقعه عندما عهدت إلى الرئيس أبي مازن بالتفاوض مع الإسرائيليين وعند التوصل إلى اتفاق ما يتم عرضه على المؤسسات الرسمية[41]. تعاملت حماس مع كل الممارسات السياسية التي وجهت ضدها بشكل برغماتي وبدا واضحا إنها هي المستفيدة من هذه السياسات، فالحصار زاد من شعبيتها وجماهيريتها وبدت كأنها الحافظة للثوابت الفلسطينية، وكذلك تركزت رسائل حماس في إظهار ممانعة الحركة للضغوط الدولية واستغلال أوراق القوة التي يمتلكها الشعب الفلسطيني لتثبيت رؤيتها السياسية

(40) برنامج إدارة الحكم في الدول العربية،
http://www.pogar.org/arabic/countries/finances.asp?cid=14
(41) **نص اتفاق مكة.** صحيفة الشرق الأوسط. لندن: 2007/2/9.

الخلاصة والاستنتاجات

1. مرت حركة حماس أثناء صياغتها لنظرية الحكم بمرحلتين رئيستين: مواءمة نفسها مع النظام السياسي الفلسطيني وإيجاد نظرية من خلالها تستطيع الحركة أن تنهض بأعباء الحكم، وإن كان معنى الحكم عند حماس هو المعارضة القوية للنظام من خلال المجلس التشريعي.
2. محاولة حماس تقديم مقاربات سياسية تؤهلها للحكم غير أن طبيعة الضغوطات، وعدم التجاوب العالمي مع ما تطرحه الحركة جعلها ترتد نحو الذات محاولة بذلك أن تنحرف إلى ذاتها أكثر وتحاول أن تصبغ النظام السياسي بأكمله ببرنامجها السياسي بحيث يتحول النظام السياسي إلى نظام مقاوم بكل بناه وتفرعاته، وهو ما يفسر دلالة هذا البحث، ويجلي أثر الثقافة السياسية للحركة على سلوكها الفعلي والتطبيقي.
3. شكلت الثقافة السياسية لحماس سواء كمؤسسة او كافراد عائقا امام الحركة في الاندماج السلس في مؤسسات السلطة الفلسطينية، وبالذات بعض المؤسسات الحساسة كالمؤسسة الامنية مما استدعى حماس الى تشكيل مؤسستها الامنية الخاصة والتي عرفت باسم القوة التنفيذية.
4. السلوك السياسي لحركة حماس مازال محكوما بالرؤية السياسية العامة للحركة، ولم يستطع ان يبلور نظرية حكم واضحة باتجاه قيادة الحياة السياسية للسلطة الفلسطينية، وبناء علاقات حكم مبنية على برنامج سياسي واضح ومحدد.
5. جاءت الثقافة السياسية عند حماس في الحكم بنفس الصورة التي تشكلت بها هذه الثقافة خارج الحكم، وذلك لان السلوك السياسي للحركة حكمته جملة من المفاعيل التي حجّمت من تطور نظرية الحكم عند حماس، وبالذات عند تناول الموضوعة باتجاه العلاقة مع الاخر الغربي الذي سيطرت على علاقته بالحركة الاشتراطات بدل البحث عن المناطق الرمادية، والوصول الى حلول وسط من شانها ان تتيح للحركة تطوير سلوكها السياسي باتجاه ايجاد نظرية سياسية للحكم مرتكزة على مفاعيل ومحددات جديدة مغايرة لتلك التي حكمت العلاقة قبل وصول حماس للحكم.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية

- حماد، مجدي. عبد الإله بلقزيز، عبد اللطيف الهرماني، فهمي هويدي، برهان غليون، زجيه كوثراني، زكي أحمد، عبد الله النفيسي، علي نوح، سيف الدين إسماعيل، خالد شوكات، أحمد منون، لؤي صافي، نيفين مسعد، برهان زريق، محمد أبو عامود. (1999). الحركات الإسلامية والديمقراطية، دراسات في الفكر والممارسة. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

- البرغوثي، إياد. (2000). الإسلام السياسي في فلسطين ما وراء السياسة. مركز الإعلام والاتصال. القدس.
- البرغوثي، إياد. (2003). الأسلمة والسياسة في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ط2. مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان. القدس.
- جبارة، تيسير. (1992). دور الحركات الإسلامية في الانتفاضة الفلسطينية المباركة. دار الفرقان. عمان.
- أبو عيد، عبد الله. محمد عمارة، علي الصوا، عبد الستار قاسم، خالد الهندي، أسامة أبو ارشيد، عبد الحفيظ علاوي، هاني سليمان، خالد الحروب، أحمد عبد العزيز، وليد مدلل، محمد برهومة. (1997). دراسة في الفكر السياسي لحركة المقاومة الإسلامية حماس (1987-1996). تحرير: جواد الحمد، وإياد البرغوثي. مركز دراسات الشرق الأوسط. الأردن.
- الحروب، خالد. (1996). حماس الفكر والممارسة السياسية. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت.
- الحفيني، عبد المنعم. (1999). موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الإسلامية. مكتبة مدبولي. القاهره.
- الكيلاني، موسى زيد. (1995). الحركات الإسلامية في الأردن وفلسطين. مؤسسة الرسالة. عمان.
- مركز دراسات الشرق الأوسط. دراسة إحصائية حول الانتخابات الفلسطينية.
- هرميه، غي. برتراند بادي، بيار بيرنبوم، فيليب برو. (2005). معجم علم السياسة والمؤسسات السياسية، ترجمة: هيثم اللمع المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- Abu-amr, ziad. (1994). Islamic fundamentalism in the west bank and gaza. u.s: Indiana university press. page 50-51
- A Dictionary of Sociology. (1998). originally published by Oxford University Press 1998
- Editorial: *A Palestinian Pact*. February 10, (2007). The Washington Post. Saturday.
- Hroub, Khaled. (2007). HAMAS a beginner s Guide.pluto press, London.

- Robin, Barry. July/August (2006). *Israel's New Strategy*. **Foreign Affairs**.
- Kissinger, Henry A. Monday, February 27, (2006). “What's Needed From Hamas Steps in the Peace Process Must Match Conditions on the Ground”. **The Washington Post.**
- Gold, Dore. 1 November (2005). “America's Hamas Dilemma: Spreading Democracy or Combating Terrorism?”. **JERUSALEM ISSUE BRIEF.** Jerusalem Center for Public. 5(8) http://www.jcpa.org/brief/brief005-8.htm.
- Pipes, Daniel. March 22, (2005). Can Hamas and Hezbollah be Democratic?. **New York Sun**. http://www.freemuslims.org/news/article.php?article=526

مقالات

- فتح: ليست بديلاً حقيقياً لحماس، مركز دراسات رويت انستتيوت الإسرائيلي 2006/8/22
- إعلان محمد غزال حول نية حماس الدخول في الانتخابات التشريعية، bbc 2005/3/12.
- كيسينجر، هنري. 2006/3/2. إسرائيل وحماس: ملامح خطة السلام القادم. **صحيفة الشرق الأوسط**. عدد 9956. لندن.
- القلاب، صالح. 2006/4/13. حيرة حماس بين رومانسية الثورة ومغريات الدولة. الشرق الأوسط. لندن.
- السمان، أحمد. **8 /2007/3**. خطاب حماس الإعلامي.. مشروط ذاتيا وموضوعيا، إسلام أون لاين.
- الحروب، خالد. 2007/3/22. تجليات البرغماتية عند الإسلاميين الوسطيين. اسلام أون لاين.

الندوات والمؤتمرات

- أسامة حمدان، إعادة بناء وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية: رؤية حركة حماس، ورقة عمل مقدمة لحلقة نقاش: منظمة التحرير الفلسطينية: تقييم التجربة وإعادة البناء، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 31-30أيار / مايو 2006.
- الزهار، محمود مداخلة خلال ورشة عمل بعنوان: نحو مشروع فلسطيني-عربي لإعادة بناء وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2005/6/29.

- الزهار، محمود: *مداخلة خلال ورشة*: **نحو مشروع فلسطيني-عربي لإعادة بناء وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية**، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2005/6/29.
- غزال، محمد مداخلة خلال ندوة: إعلان القاهرة الفلسطيني نحو تأسيس نظام سياسي جديد، مجلة دراسات شرق أوسطية ع 31، ربيع 2005.

المواثيق

- ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس، المادة الأولى. نشرة تعريفية.
- نص إعلان مبادرة الهدنة 2003/6/29. **صحيفة الأيام**. فلسطين. 2003/6/30.
- نص اتفاق القاهرة، صحيفة الحياة الجديدة، 2005/3/18
- نص اتفاق مكة**.** صحيفة الشرق الأوسط. لندن: 2007/2/9.

الانترنت

- برنامج إدارة الحكم في الدول العربية، http://www.pogar.org/arabic/countries/finances.asp?cid=14
- دراسة إحصائية وسياسية في نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية 25 كانون الثاني/ يناير 2006، مركز دراسات الشرق الأوسط. http://www.mesc.com.jo/IndexAr-07.html
- سليم الحص، حماس في مأزق اللاخيارات، http://www.mokarabat.com/s1209.htm
- صحيفة الشرق الاوسط، لندن، 2007/1/11، عدد **10271**، http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=1&issue=10271&article=401073
- موسوعة الشباب السياسية. الثقافة السياسية واثرها على المشاركة

www.**ndp**.**org**.**eg**/**downloads**/**politics**/2.doc

- نعيرات، رائد. 2006 قراءة في البيان الوزاري لحكومة إسماعيل هنية، المركز الفلسطيني للديمقراطية والدراسات، http://paldsr.com/y1.htm